على قدر جهلهم بالامور التي لا يترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظائم الامور لا يبالون بها. أرأيت ايها الاخ السائل ايهتم قومك بالانكار على تارك الصلاة أو مانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلي الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركها لاعتقاد انه لم يكلف بها وفاقاً لاكثر المسلمين ؟ اذا كان هؤلاء قد تركوا كل ما حرمه وكرهه الدين وقاموا بكل ما فرضوا عليهم من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لانفسهم ولامتهم فلهم الحق في الاهتمام بهذه المسئلة واني اعتقد حينئذ انهم يكونون سعداء مرضيين عند الله صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وان كانوا قد قصروا في شيء من الفرائض والسنن المتفق عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لا خلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعناية بالدين لاجل مسألة خلافية لم يقل بها الا الاقلون من المسلمين زعم باطل لا سبب له الا التمسك بالعادة والتعصب على المخالف بغيا وانتصارا للنفس. والخلاصة أن من اعتقد ان شيئا غير مشروع فعليه أو فله ان يبينه للناس غير مبال بلغط اللاغطين، واختلاف الجاهلين، والله ولي المتقين.

اما حكمكم في سماع الدعوى في بيع الرهن فليس من موضوع المنار البحث في الاحكام القضائية غير الدينية وظاهر ان الدعوى لا تسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الامام أو نائبه

آراء علماء المسلمين

التقريظ

الشريعة الاسلامية — والقوانين الوضعية

رسالة لعلي بك أبي الفتوح من علماء القوانين العاملين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتدأها بقوله: «لا يظن كثير من الناس حق من المسلمين أنفسهم أن المبادي المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التمدن والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الاحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الاصول الاسلامية وانما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أتى بها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا

لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا في الرقاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المتقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لانها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وبعدها عن المشاغبات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمتقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

« اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بامراء المسلمين اتباعه والعمل به . عثرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا أبخل بنظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون منهم بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ولعلهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهما حق الفهم ودرسا بعقل وتمييز

« وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراما في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من وضعت لهم » اه

ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من اوضاع علماء اوربا المتأخرين فهذه الرسالة مفيدة للمتعلمين في المدارس النظامية بمصر واوربا الذين لم يتلقوا شيئاً من علوم الشريعة فهم يضعلونها للجهل وهذا الذي ذكره قليل من كثير ، ونقطة من بحر كبير ، ومفيدة لعلماء الازهر وامثالهم من المتعلمين على طريقتهم — ان كانوا يقرؤون ويعتبرون — عما تبين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتعجة التي يتصفون فيها فان ذلك أقوى اسباب بعد المسلمين عن دينهم وشريعتهم

أما تعجب الكاتب من جدارة الحكومات الاسلامية بأخذ قوانينها وأحكامها من الشريعة الغراء فيقال فيه انه لو كان في الدنيا حكومات اسلامية لما كان لهم معدل عن الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة اسلامية الا كون تشكيلها وأحكامها على حسب الشريعة . وهل توصف بالاسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي ينشئها أو يرثها رجل يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد لا يتقيد من شريعة الاسلام بشيء الا ما لا يرى بدا منه في اخضاع العامة لسلطته أو ما يراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الاحكام العدلية التي ألفتها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد امر السلطان العثماني بالعمل بها عند ما أسس نظام العدلية ، وابطل به الامتيازات الاجنبية ، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية ، بل اختارت على احكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسوية ، كنا يعرف السبب في ذلك وهو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها فانظر ماذا حل به وباستقلاله . والرسالة قد طبعت فتحت القراء على طلبها ومطالعتها

﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبها ﴾

ساءت طرق التعليم في المدارس الاسلامية بعد ضعف العلم بضعف الامة وساء اختيار المعلمين للكتب فصارت العلوم في المسلمين رسوماً منها المدارس ومنها المنازل . ثم تلاشى من العلوم ما لا يقوم بالرسم ، لانه أشبه بالروح منه بالجسم . كعلم البلاغة الذي هو ذوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبع بملكته النفس ، ثم يظهر أثره في الحس ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لمتون جعلت مذكرة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات في ألفاظها ، واستنباطات من عباراتها ، تقطع على من ابتغى بها طريق التحصيل ، وتضله عن سواء السبيل . وأشهر هذه المتون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصره به كتاب المفتاح لابي يعقوب يوسف السكاكي . وقد كان البلغاء المتقدمون الذين انتهت اليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يزاولون من قراءة الكلام البليغ وتفهم معانيه ، والتفطن لاساليبه ومناحيه ، حتى اذا ما أحس الامام عبد القاهر بضعف عناية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة الى العناية بزخرف

اللفظ وإن عجز عن أداء المعنى المراد وقصر عن التأثير المطلوب فوضع كتابيه (اسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الاعجاز) في المعاني ليصرف الناس عن المجاهل التي تعسفوا فيها، ويهديهم الى الطريق التي ضلوها ، ولكن جاء بعده السكاكي فاقتبس من كتابيه القواعد والاحكام التي وضعها لاقناع الجاهلين ، وتسهيل الغوص على الدرر للغواصين ، فجعل الفن رسما محدودا واصطلاحات نظرية حفظ الذهن منها بالتصور والتصوير ، أكبر من حفظ النفس بالتأثر والتأثير ، ثم اختصر الخطيب بتلخيصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أو غل في الرسم والاصطلاح ، وأبعد عن النفوذ الى مواقع التأثر والتأثير من الارواح ، وجاء بعد ذلك سعد الدين التفتازاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المنطق والجدل والمناظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية ، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالكلية ، وابتليت كتب السعد بأناس وضعوا عليها حواشي للبحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فصارت هذه الكتب عقبات أو عوائق في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها ، وحالت بينهم وبينها

مرت قرون على المسلمين وهم يتكعون في ليل من الجهل بهيم حتى اذا الليل عسعس ، وكاد الصبح أن يتنفس ، هدى الله أناساً الى ان يقتبسوا اللغة من مقتبسها ، ويجنوا البلاغة من مغرسها ، وما عم ان استبان للازهريين المقصد ، وظهر فيهم الامام المرشد ، ثم طبع الكتابان الجليلان ، (أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) وقرأهما في الازهر الاستاذ الامام ، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل ، وظهر فيهم من فاقوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم ، فكتبوا المقالات والرسائل الادبية ، وتعلقت آمال بعضهم بتأليف الكتب العلمية ، وهذا كتاب شرح التلخيص لواحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما يعصر جند المعاني على جند المباحث اللفظية التي اعتادها اهل الازهر مستمدا ذلك من اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز اللذين هما عمدته وعتاده وفي هذا من جذب طلاب الازهر الذين لم يحضروا الكتابين على الاستاذ الامام الى جانب البلاغة الحقيقية

ما يرجى معه ان يكون الشرح سلما لهم يرتقون به الى مطالعة الكتابين ، ويهتدون به الى خير التجديدين ، وهو ما يطبع البلاغة في النفس ، ويظهر أثرها في علم المحس ، على أنه يكون عونا لهم على فهم شرح السعد الذي قضي عليهم بتلقيه ، وأداء الامتحان فيه ،

ومما ينتقد على الشارح انه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) فيسنده الى نفسه وان كان طويلا لا تصرف له فيه وتارة يتصرف فيه تصرفاً يسيراً لا يكون عذراً له أن يترك عزوه الى ابي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده عبدالقاهر في اسرار البلاغة لبيان مواقع التمثيل وتأثيره في النفوس فانه أخذ صفحات من صدر الفصل ووضعها في أول باب التشبيه متصرفا في جمل من أولها نقلها من صيغة الماضي الى صيغة المضارع كأن حق المصنف فيها مضى وانقضى وصارت في مستقبلها الى مالك آخر قال في ص ٢٢٧

« اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تقييب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها ، ويشب من نارها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ، ويستثير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، ويقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وأفخم » الخ مالا تصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في ممرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفاً ، فان كان مدحا كان ابهى وأفخم » الخ ومالا تصرف فيه

وبعد ان تقف بالطرف مواقع التمثيل وتأثيره في كل موقع وانشأ ينقل الامثلة تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنياً عن ذلك كله

وقد وضع للشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين في فن البيان وألم بما يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها او جلها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب يكسوه واوي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسبه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف ان يتجاوز في مقدمة كتاب له أخذ الجملة والجملتين على سبيل التضمين . وأكثر ما أخذه قد سلخه بلفظه ومعناه فانك تجد قوله (في ص ٧) « أما النحو فهو معيار » الى جمل بعده كله من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الاعجاز ولا نذكر ما قاله في ص ٨ من التمثيل بالآية وكونه من ص ٢٦ من دلائل الاعجاز ايضاً فانه ليس من روائع الكلام التي تملك لقائلها ولكن قوله في ص ١٣ في عبد القاهر « وارهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق وأعدم نطق الناطق . وأسال الوادي عليهم عجزاً » وأخذ مناقذ القول عليهم أخذاً « مأخوذ من قول عبد القاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الاعجاز فقد وصفه بكلامه فلم تكن السرقة لاجل أجنبي . ومعظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و ٦٢ من دلائل الاعجاز ولكن فيه شبهة عزو لانه يحكي عن رأي عبد القاهر

وقوله في آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الاعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : الى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و ٣٥ من دلائل الاعجاز وما بعدها ماخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية في ص ١٨ ماخوذ من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز . والكلام على بيت ابن المعتز في ص ١٩ ماخوذ من ٧٤ منه

وقوله في ص ٧ « لكن لابد للمرء قبل ذلك ان يحظى بقبس من اللغة ويصيب ذروا من النحو » فهو ماخوذ من فاتحة اساس البلاغة للزمخشري بتصرف . وقوله في ص ٣ « لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطامع فجه إنسان » هو من كلام الشريف الرضي في وصف كلام لامير المومنين لما بويع بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة ايضاً « وقبح في كسر بيته لا يرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه . » فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيها قبل العبارتين « كتب في هذا الفن قبل الامام عبد القاهر » الخ ماخوذ من مقدمتنا لاسرار البلاغة . وكذلك قوله في ص ٤ « وهو وان فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب » الخ ما قاله في السكاكي فهو منها بالمعنى لا بالنص

هذا وانا نرى ان هذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الازهريين منهم فانهم لا يجدون ما يفهم عنه . ولا يحسن أحد ان ذلك الاخذ الذي نبهنا عليه يقال

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه. كلا ان الشيخ عبد الرحمن من أحسن نابتة الازهر تحصيلا وفهما وحكتابة يدل على ذلك حسن تأليفه لما أخذه وربط بعضه ببعض وحسبه ان يختار المفيد النافع وانما كان من الكمال في العمل ومن الامانة في العلم ان يأخذ المعاني ويستقل بالعبارة حتى اذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه الى صاحبه. ولكن لو كانت العبارة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة اذ لم يصل الى درجة عبد القاهر في التحرير والتحبير. ولعل الذي سهل عليه ترك العزو هو اعتقاده بان أكثر المؤلفين المتأخرين ليس لهم الا جمع الاقوال وتنسيقها فاذا كان منهم من جمع المشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة. والكتاب مطبوع طبعاً جميلا وقد جعل ثمنه أربعة قروش صحيحة وهي قليلة جدا بالاضافة الى ما اتفق عليه بصرف النظر عما يستفاد منه

باب الاجتهاد والاتباع

﴿ رأي رجل عظيم في المسلمين والمنار وترك الاستاذ الامام للأزهر ﴾

كتب الينا الكتاب الآتي أحد أعلام الامة الاسلامية وأركان نهضتها العصرية. ناظم مدرسة العلوم «الكلية» ومدير جريدتها (على كده انستيوت) الشهيرة، وصاحب المصنفات الكثيرة. محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان. فنشرناه ووصلناه برأينا فيه. قال حفظه الله:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

غب اهداء سلام أذكى من تغاريد الحمام، وأصفى من قطر الغمام، وأحلى من صفو المدام، وأشهى من انفاس الرياض إذ هطل عليها الغمام، وأعبق من روائح المسك الختام، وأبرق من البدر التام، وأشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام، أخص به حضرة المولى العلامة النحرير، والتعلامة القرم الكبير، مولانا الشيخ رشيد رضا لم تزل الاقدار تعضده في كل حال، وتصعده للظفر بالأماني والآمال، مالع آل وتكررت الغدو والآصال،